التألهُ هدف حياة الإنسان

تأليف

الأرشمندريت جيورجيوس كابسانيس

رئيس دير البار غريغوريوس / جبل آثوس

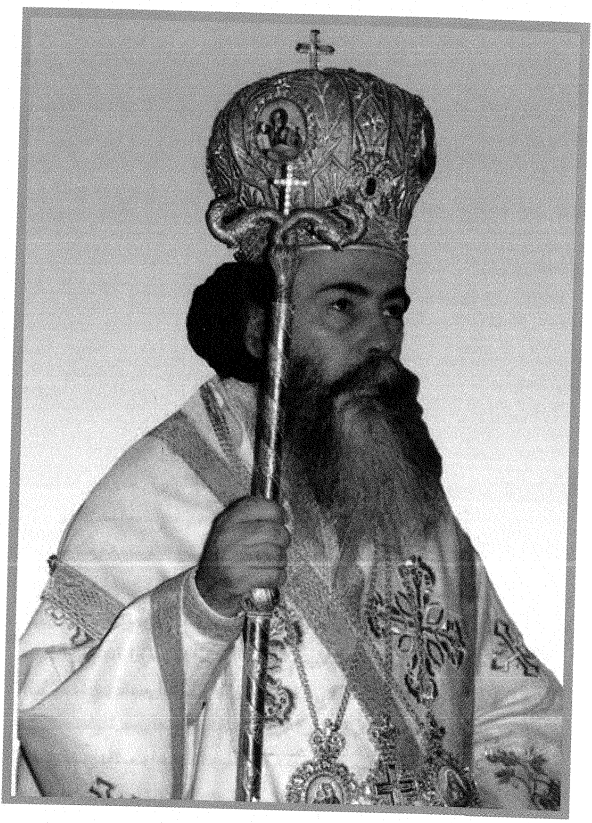
ترجمة

الأب الدكتور / إبراهيم خليل دبور

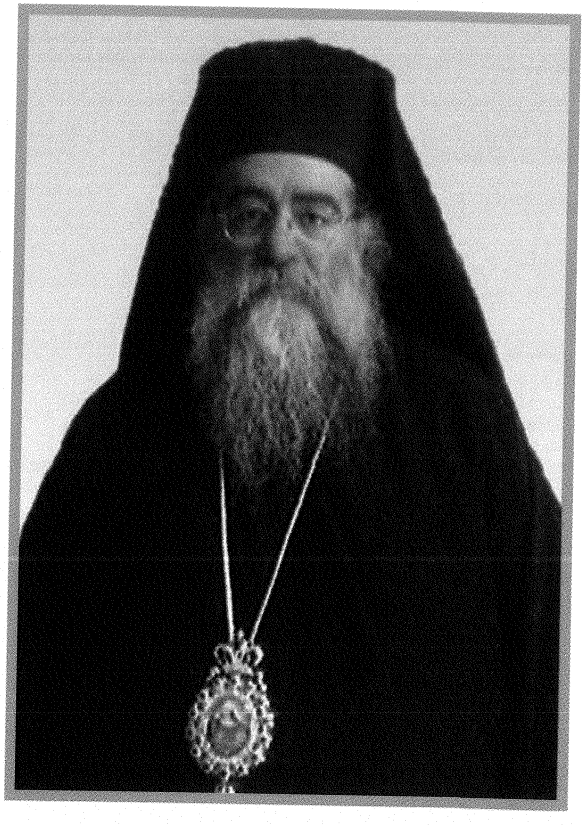
٢٠٠٧

إهداء إلى زوجتي العزيزة

الخورية سهيلا



صاحب الغبطة
البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة



صاحب السيادة المتروبوليت ڤينيذكتوس

متروبوليت فيلادلفيا وسائر الأردن للروم الأرثوذكس

الفهرس

GREEK ORTHODOX PATRIARCHATE
GREEK ORTHODOX ARCHDIOCESE
AMMAN - JORDAN

بطريركية الروم الارثوذكس المقدسية
مطرانية الروم الارثوذكس
عمان – الأردن

الرقم : م ط /٩٩/٢٠٠٧

التاريخ : ٢٠٠٧/٤/١٩

قدس الابن الروحي الحبيب
الايكونوموس إبراهيم دبور الكلي الورع

تحية بالرب يسوع المسيح

قد بلغنا بالغبطة والسرور خبر إنهاءكم ترجمة كتاب " التأله هدف حياة الإنسان" والمترجم عن اللغة اليونانية لمؤلفه قدس الارشمندريت جيورجيوس كابسانس رئيس دير القديس غريغوريوس في جبل آثوس ورغبتكم في نشره وتوزيعه مجاناً لمنفعة أبنائنا الروحيين ولاستزادتهم الروحية ونهضتهم في هذه الأيام المباركة أيام قيامة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح من بين الاموات ، فإننا نمنحكم بركتنا في نشر هذا الكتاب ونبارك لكم جهودكم و ندعوا الى الرب القائم من بين الاموات ان يبارك دائماً خطاكم ويمنحكم على الدوام من لدنه النعمة والمحبة الإلهية.

واقبلوا الشكر والتقدير والاحترام

الداعي لكم بالرب يسوع المسيح
المتروبوليت بنديكتوس
متروبوليت فيلادلفيا وسائر الأردن

Tel: ٥٩٢١١٤٦ Fax : ٥٩٢١٩٢٨ ٥٩٢١١٤٦ فاكس : ٥٩٢١٩٢٨
P.O.Box. ٨٥١٣٨٢ AMMAN ١١١٨٥ ص.ب ٨٥١٣٨٢ عمان ١١١٨٥ الأردن
www. Jordanorthodox.org Email: info@jordanorthodox.org

مقدمة المؤلف

أنه لمن الصعب أن يتجرأ الإنسان ويتكلم عن التأله ، عندما لم يكن قد تذوق التأله . ولكننا تجرأنا بنعمة اللّه العلي القدير ومخلصنا يسوع المسيح ، وذلك حتى لا نخفي عن أبنائنا هدف حياتنا السامي جداً ولهذا السبب نحن قد خُلقنا .

وحتى يظهر بوضوح أن الرعاية الوحيدة التي تتكلم عن التأله هي الرعاية الأرثوذكسية وليس كالفكر الغربي الذي يتكلم عن هدف الإنسان في أنه هدف أخلاقي أو كمال أخلاقي دون وجود لنعمة اللّه .

وحتى نصل إلى هدفنا الاقوى والأسمى علينا أن نجاهد بقوة حتى نروي عطشنا الروحي لله المثلث الأقانيم . وهكذا نستطيع أن نشكر اللّه الذي خلقنا وأراد أن يوصلنا إلى التأله . وإننا نرغب في أن يعرف الجميع أن كنيستنا المقدسة هي المكان الوحيد الذي يحصل فيه الإنسان على شركة التأله .

وهكذا عندما نوضح هذا الهدف تظهر عظمة الإيمان الأرثوذكسي ، لأن هذا الإيمان يعلِّم أولادنا عن

هدف حياتنا وهو نعمة التأله .

وهكذا نكتب هذا الكتاب كي نعزي نفوسنا التي تسممت وأظلمت بسبب الخطيئة ، وتتشوق هذه النفوس لرؤية نور وجه المسيح .

يا اللّه الكلي الرحمة إرتضي بسبب محبتك العظيمة أن توهلنا أن ندخل في طريق التأله قبل أن ننتقل من هذا العالم الآني ، نطلب إليك أيها الإله الرحيم أن تضع في قلوب أخوتنا الأرثوذكسيين أن يطلبوا التأله ، لأن هذا الشعب اليوم قد نسي هذا الهدف بسبب جهله بهدف حياته .

أيها الرب الرحيم نطلب إليك أن تقود غير الأرثوذكسيين لمعرفة حقوقك حتى لا يبقوا خارج خدرك بل يدخلوا بنعمة التأله . يارب أرحمنا وأرحم عالمك .

+ آمين +

جيورجيوس كابسانيس
رئيس دير غريغوريوس
جبل آثوس

الهدف المسبق لوجودنا

إن موضوع الهدف المسبق لوجودنا في هذه الحياة هو مهم جداً لأنه يصل إلى أهم مطلب للإنسان . لماذا نحن موجودين على هذه الأرض ؟ لو أن الإنسان يعي حقيقة هذا السؤال ويعي هدف وجوده في هذه الحياة لرتب وضعه بشكل صحيح في أمورٍ شتى في حياته كعلاقته مع غيره من البشر وأختياره لدراسته ومهنته ، وقرار الزواج وإنجاب الأولاد والتملك وغيرها من القرارات المهمه في حياتهُ ، وإن لم يعي الهدف الأسمى من الحياة وهو التأله فإنهُ لن ينجح في الأهداف الجانبية الأخرى التي سميناها ، لأنه ماذا ستنفع هذه كلها إن كانت حياة الإنسان بلا معنى ؟ (١)

ومن أول صفحة في الكتاب المقدس يظهر هدف حياتنا عندما يقول لنا كاتب سفر التكوين أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله . وهكذا فإننا

(١) " لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ " متى (٢٦:١٦)

نتحقق من المحبة العظمى للّه المثلث الاقانيم تجاه الإنسان لأن اللّه لم يرد أن يكون الإنسان مجرَّد كائنٍ حي مقميز ببعض الامتيازات أوالنعم أو له خصائص أكثر من باقي الكائنات الحية وإنما أراد اللّه أن يكون الإنسان **إلهاً بالنعمة** .

نَعَم إن الإنسان يظهر خارجياً بأنه كائن حي كباقي الكائنات الحية والحيوانات . نعم أنه كائن حي حقاً ولكنَّه بعلاقته مع اللّه يصبح متألهاً كما يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي (مقاله عن الظهور الإلهي . MPG ١٣،٣٢٤،٣٦) بأن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يتميز عن كافة الكائنات الحية بأنه يستطيع يصبح إلهاً .

أن كلمة "اللّه خلق الإنسان على صورته" تعني أن اللّه أعطى الإنسان مواهباً ونعماً وميَّزه بها عن باقي المخلوقات وهذه النعم أو المواهب هي : "الذهن العقلي أو الضمير ، الإرادة الذاتية ، حب التكاثر ، عشق الإنسان واشتياقه لله

واستقلاليته الشخصية" كل هذه الصفات تجعل الإنسان متميزاً عن باقي المخلوقات . وتجعله يكون إنساناً ذو شخصية مستقلة . أي أنه يجعل الإنسان شخصاً ، إن هذه هي مواهب "على صورة اللّه" وكون الإنسان مخلوقاً على صورة اللّه فأنهُ مدعوٌ أن يكون على مثالهِ أيضاً أي بالتأله . أن اللّه الخالق بالطبيعة يدعو الإنسان أن يصبح إلهاً بالنعمة .

إذن أعطيت نعم الخلق هذه "على صورة اللّه" إلى الإنسان حتى يرتفع بها إلى الأعلى ويستطيع أن يفوز بأن يصل إلى مثال اللّه الخالق . أي كي يصل ليس إلى علاقة أخلاقية (٢) مع اللّه وإنما إلى علاقة أقنوميه شخصية مع اللّه الخالق .

انه من الممكن أن تكون هناك جُرأه عظيمة عندما نقول أو أن نفكر بأن هدف حياتنا هو أن نصبح ألهة بالنعمة . وإن أباء الكنيسة والمجامع لم

---

(٢) علاقة أخلاقية : علاقة أخلاق حميدة حسب مبدأ نسطوريوس الذي يقول بأن المسيح هو شخصان بعلاقة أخلاقية بينهما .

يَخفوا هذا عن أعيننا . وأنه لمن الواضح أنه يوجد جهل عظيم عند الناس الذين هم خارج الكنيسة وحتى عند كثيرين داخل الكنيسة لأنهم يعتقدون أن هدف حياتنا هو أن نصل إلى أحسن ما يكون من ناحيةٍ أخلاقية ، ولكن عندما نقرأ الإنجيل والتقليد الشريف والأباء القديسين نجدهم يعلموننا أن هدف حياة الإنسان ليس الأخلاق الحسنة ؛ أي أن يصبح الإنسان أخلاقياً أفضل مما هو عليه أو أكثر عدلاً أو أكثر عفةً أو أكثر إنتباهاً ، كل هذه الصفات يجب أن تكون عند الإنسان ولكنها ليست هي الهدف الأسمى في الحياة التي من أجلها خلقنا اللّه الخالق .

إذاً ما هو الهدف الأسمى ؟ أنه التألهُّ، أي أن يتحد الإنسان مع اللّه ليس إتحاداً خارجياً أو بطريقة شعورية ، ولكن كيانياً وحقيقياً .

هكذا وضع علم الإنسان الأرثوذكسي عالياً وعميقاً الإنسان ولو قارننا بين جميع علماء

الإنسان من فلاسفة أو علماء اجتماع أو علماء نفسانيين مع علم الإنسان عند الأرثوذكسية سنجد أن هذه العلوم جميعها فقيرة حيث أنها لا تصل إلى عمق ما يطلبه الإنسان ، لأن الإنسان يطلب شيئاً عميقاً في داخله ، ولأن الإنسان مخلوقاً ومدعواً لأن يكون إلهاً . فإنهُ يشعر بفراغ في داخله إن لم يوجد في مسيرة التأله أي أنه يشعر بأن شيئاً ينقصه أو شيئاً لا يسير بشكلهُ الصحيح ، إنه لا يفرح حتى ولو ملأ وقته كله بنشاطات مختلفة إنه يستطيع أن يخدِّر نفسه أو أن يخلق لنفسه عالماً خيالياً ولكن في نفس الوقت عالماً فقيراً وصغيراً محدوداً ومنزوياً وهكذا يسجن نفسه في هذا العالم . وهكذا يستطيع أن ينظم حياته حتى يستطيع أن يكون في هدوء مع نفسه ولو لوقت قصير .

تجدهُ دائماً يشغل نفسهُ بأمور كثيره ويحيا مع ضجيج التلفاز والراديو أو أي أختراع جديد وذلك حتى لا يفكر بنفسه ولو للحظة واحدة أو بهذه الأمور يخدر نفسه كي لا يعود لنفسهِ

ويرى أن طريقهُ غير صحيحة ، وأنه انحرف عن مساره وهدفه الحقيقي .

وأخيراً لا يستريح الإنسان المعاصر الشقي حتى يكتشف هذا الشيء الجديد الحقيقي والجميل ألا وهو صورة اللّه في داخله . هل يستطيع الإنسان أن يتحد مع اللّه ؟ هل يستطيع أن يقيم شركة معه ؟ هل يستطيع أن يتعامل معه ؟ هل يستطيع أن يصبح إلهاً بالنعمة ؟

إن تجسد الإله سبباً لتأله الإنسان

يقول أباء الكنيسة أن اللّه صار إنساناً حتى يجعل الإنسان إلهاً . لا يمكن للإنسان أن يصل إلى التأله لولا تجسد الإله .

قبل زمن التجسد ظهر كثير من الحكماء والأبرار ، مثالاً لذلك الفلاسفة والحكماء اليونانيون قد وصلوا إلى أفكار عالية حول اللّه وحول الصلاح . وإن فلسفتهم كان بها بذار الحقيقة ، هذا الذي نقول عنه "الكلام بالفطرة"، وكانوا أناساً متدينين ولم يكونوا ملحدين بالكلية كما صورهم لنا كثيرٌ من كتاب هذا العصر وبالرغم من أنهم لم يعرفوا اللّه الحقيقي لأنهم كانوا عبدة أصنام إلاّ أنهم كانوا أتقياء ويخافون اللّه لأجل ذلك كان جميع المربين والمعلمين سواءً علمانيين أو رؤساء علمانيين يحاولون أن يزرعوا في نفوس الشعب الإيمان تجاه اللّه فبدون رضاه يكونون مخطئين لأن الشعب اليوناني دائماً كان عنده مخافة اللّه وحتى الفردوس اليوناني القديم

كان يكرم اللّه ويحترمه .

في الفلسفة اليونانية القديمة كان هناك اشتياق لمعرفة الإله المجهول وأرادوا أن يختبروا اللّه ولكنهم لم يكن عندهم المعرفة الإلهية الكاملة وكون حياة الشركة مع اللّه كانت مفقودة لذلك لم يكن من الممكن الوصول إلى التأله . وفي العهد القديم أيضاً يوجد عندنا صديقين وأبرار ولكن الاتحاد باللّه والتأله أصبح ممكناً فقط عندما تجسَّدَ اللّه الكلمة .

اذاً هذا هو هدف التجسد الإلهي فلو أن هدف الإنسان أن يكون اجتماعيا صالحاً لما وجدت الحاجة لتجسد اللّه وبأن يأتي المسيح على الأرض ولم تكن هناك ضرورة لأن يتمم التدبير الإلهي بالتجسد الإلهي والصلب والموت والقيامة . لأن كل التدبير الإلهي المذكور أنفاً إنما تم بالمسيح . لذلك الحياة الإجتماعية الصالحة كان من الممكن أن تعلم من قبل الفلاسفة والأنبياء والصالحين والأبرار . ولكن

ليس التأله .

إننا نعرف أن أدم وحواء قد جُربوا من الشيطان وأنهم أرادوا أن يصبحوا ألهه ليس بالتعاون مع اللّه ولا بالتواضع ولا بالطاعة والمحبة ولكن أرادوا أن يصبحوا آلهة معتمدين على قوتهم الذاتية ولإرادتهم الذاتية أيضاً ومعتمدين على أنانيتهم وفرديتهم . إن جوهر إيمانهم كان أنانيتهم . ولذلك عندما تبنى آدم وحواء أنانيتهم واستقلالهم عن اللّه انفصلوا عن اللّه وعوضاً عن أن يربحوا التأله بالعكس وصلوا إلى الموت الروحي . ولكن آباء الكنيسة يقولون إن اللّه حياة وكل من ينفصل عن اللّه ينفصل عن الحياة . ولذلك الموت الطبيعي والموت الروحي حصلا كنتيجة لمعصية أدام وحواء.

كلنا نعرف نتيجة خطيئة الأجداد . إن انفصال الإنسان عن اللّه أوقع الإنسان في الحياة الشيطانية الحيوانية الجسدية لذلك خليقة اللّه قد وقعت في مرض ثقيل تقريباً إلى الموت .

وبالتالي أظلمت "على صورة اللّه" التي خلقً عليها . لذلك فقد الإنسان إمكانياته التي كانت عنده قبل السقوط كي توصلهُ إلى التأله. اذاً بعد هذه الحالة المرضية فقد الإنسان امكانياته للتوجه نحو اللّه ولذلك كان من الواجب وجود أساساً صحيحاً لمواصفات الإنسان وبالتالي وجب أن يكون هناك إنساناً أخراً يتمتع بالحرية حتى يتمكن من أن يوجه البشرية نحو اللّه .

وهذا الأساس الجديد والإنسان الجديد هو اللّه المتجسد يسوع المسيح ابن اللّه الكلمة ليكون لنا هذا الأساس الجديد باكورة جديدة وخميره جديدة للبشرية ، كما يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي ، بتجسد الكلمة تحققت شركة ثانية جديدة بين اللّه والإنسان الشراكه الأولى كانت في الفردوس لكنها قد كسرت لأن الإنسان أنفصل عن اللّه . ولكن اللّه الكلي الصلاح دبّر الآن شراكه ثانية جديدة عن طريق اتحادهُ بالبشر بطريقة لا يمكن أن تكسر لأنها تحققت في شخص الرب يسوع المسيح .

إن اللّه المتأنّس المسيح الابن وكلمة اللّه الأب له طبيعتان كاملتان الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية وهاتان الطبيعتان متحدتان بدون امتزاج أو اختلاط أو انفصال أو تجزؤ لأقنوم المسيح الذي هو اللّه الابن ، وبحسب تعليم المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية أجتمع الأباء القديسون بروح واحدة ممثلّين الكنيسة الأرثوذكيسية الواحدة وأوضحوا التعليم حول لاهوت المسيح أن المسيح أبن اللّه هو شخص كاملٌ بطبيعتين إلهية وإنسانية .

أصبحت الآن الطبيعة الإنسانية بواسطة الاتحاد الأقنومي للطبيعتين في شخص المسيح هي متحدة كلّيةً بالطبيعة الإلهية لأن المسيح أي الابن أصبح الإله الإنسان وبحالته وهو إنسان صعد إلى السماء وبحالة الإنسان أيضاً جلس عن يمين الأب وبحالة الإنسان سيأتي في المجيء الثاني . لذلك فأن الطبيعة البشرية الآن جالسة على عرش أحضان الثالوث الأقدس ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تنفصل عن اللّه الآن

لأننا وإن أخطأنا كثيراً ومهما أبتعدنا عن اللّه فإننا بسبب سرِّ التجسد الإلهي لنا إمكانية التوبة والعودة إلى اللّه والإتحاد به من جديد وهكذا نستطيع باتحادنا به أن نصبح الهة بالنعمة .

العذراء كمثال لتأله الإنسان

أن الرب يسوع المسيح بتجسُّدهِ أعطانا القدرة والإمكانية لنتحد بالله ونعود إلى الهدف الأساسي الذي خُلقنا لأجله ألا وهو التأله . لأجل ذلك يُعلن آدم الجديد (المسيح) بأنه الطريق والباب والراعي الصالح والحياة والقيامة والنور . هذا هو آدم الجديد الذي صحح أخطاء آدم الأول فإن آدم الأول قد فصلنا عن الله بعدم طاعتهُ وأنانيتهُ ولكن آدم الثاني (المسيح) أعادنا إلى الله بمحبته وطاعتهُ لله الأب "أطاع حتى الموت" موت الصليب وهكذا وجَّهَ حريتنا إلى الله لكي نتحد معه . ولكن وجود آدم الجديد حُضِّرَ له بحواء جديدة وهي مريم العذراء الكلية القداسة التي صحَّحت بعملها أخطاء حواء القديمة . حواء الأولى قادت آدم إلى عدم الطاعة ولكن حواء الجديدة الكلية القداسة بواسطتها تحقق مجيء آدم الثاني الذي سيقود العالم إلى طاعة الله . وكون والدة الإله هي أول إنسانة قد حققت التأله بطريقة عجائبية ومميزة كان لها

ليس فقط دوراً رئيسياً لعمل الخلاص بل دوراً جوهرياً أيضاً لا يمكن لأحد غيرها أن يقوم بهذا الدور .

وبحسب القديس نقولا كباسيلاس قديس القرن الرابع عشر لو أن مريم العذراء لم تقل نعم للّه "هاأنذا أمةٌ للرب" بملئ إرادتها وحريتها ، لما استطاع اللّه أن يتجسد ، لأن الله الذي أعطى الحرية للإنسان لا يمكن له أن يسلبها منه ، ولما استطاع أن يتجسد لو لم يوجد هكذا عذراء طاهرة نقية ذو نفس غير دنسه قدمت نفسها كليةً إلى اللّه بملئ إرادتها وحريتها وهكذا استطاعت أن تجذبهُ نحوها ونحونا . نحن ندين لوالدة الإله ولذلك الكنيسة تكرم وتغبط سيدتنا العذراء ولذلك القديس غريغوريوس بلاماس الذي لخص اللاهوت الأبائي يقول إن كلية القداسة تأتي بعد الثالوث الأقدس مباشرة ، هي إله بعد اللّه هي الخط الفاصل بين الخالق والمخلوق هي بكر المخلصين ، وكذلك القديس نقوديموس الآثوسي الكرب المنير ومعلم الكنيسة يقول أن طغمات

الملائكة يأخذون نورهم من النور الذي يشع من مريم العذراء . وفي تراتيل الكنيسة نرتل أن والدة الإله هي أكرم من الشيروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السيرافيم . **إن تجسد الكلمة وتأله الإنسان هو السر العظيم لإيماننا ولاهوتنا .**

هذا السر تعيشه كنيستنا الأرثوذكسية بواسطة أسرارها المقدسة وتراتيلها وطقوسها وبأيقوناتها وبكل حياتها . وحتى في طريقة بناء كنائسنا قبة الكنيسة التي يرسم عليها الضابط الكل . يمثل نزول اللّه إلى الأرض ويدل على أن اللّه أحنى السماوات ونزل على الأرض . هذا يعني أن الله صار إنساناً كما يقول القديس يوحنا (١:١٤) "والكلمة صار جسداً" .

وكون اللّه صار إنساناً بواسطة مريم العذراء نرسم والدة الإله في محراب الهيكل حتى يدل أن اللّه بواسطة مريم العذراء صار إنساناً جاء على الأرض .

وأن مريم العذراء أصبحت الجسر الذي بواسطته جاء اللّه الكلمة على الأرض ، ويدل هذا المحراب على أن مريم العذراء هي تنقلنا من الأرض إلى السماء لأنها هي التي وسعت من لا يحدهُ مكانٌ لأجل خلاصنا .

وأيضاً تُظهر كنيستنا البشر المتألهين ، هؤلاء الذين أصبحوا آلهة بالنعمة لأن اللّه صار إنساناً . لذلك في كنائسنا الأرثوذكسية نستطيع أن نرسم ليس فقط اللّه المتجسد ووالدة الإله ولكن أيضاً القديسين نرسمهم حول الضابط الكل وعلى جميع جدران الكنيسة . لأن هؤلاء القديسين المتألهين هم نتيجة التجسد الإلهي . وهكذا عند دخولنا إلى الكنيسة الأرثوذكسية نشاهد رسم الأيقونات الجميلة عندها نختبر شيئاً مهماً وهو أن نعرف ما هو عمل اللّه تجاه الإنسان ونعرف ما هو هدف الحياة . كل ما في الكنيسة يتحدث عن تجسد اللّه وتأله الإنسان .

الكنيسة مكان تأله الإنسان

جميع الذين يريدون أن يتحدوا بالمسيح (بواسطة يسوع المسيح) مع اللّه الأب يعرفون أن هذا الاتحاد لا يتم إلاَّ عن طريق جسد المسيح الذي هو كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة هذا الاتحاد ليس اتحاداً مع جوهر اللّه وإنما مع طبيعة المسيح الإنسانية المتألهه ، وهذا الاتحاد ليس هو اتحاداً خارجياً أو اتحاداً أخلاقياً أي نحن لسنا أتباع المسيح فحسب كأن نكون أتباع فيلسوفاً أو معلماً ، ولكننا نحن أعضاء جسد المسيح والكنيسة لأن الكنيسة هي الجسد الحقيقي للمسيح وبالتالي هذا الاتحاد لا يكون اتحاداً أخلاقياً كما كتب بعض الكتاب اللاهوتيين الذين لا يعرفون عقائد كنيستنا المقدسة ، والمسيح يأخذنا بهذا الاتحاد إلى جسده بغض النظر عن خطايانا أو عدم استحقاقنا ! ويجعلنا أعضاءهُ ، ليس أخلاقياً ولكن أعضاء جسده ، كما يقول بولس الرسول :"نحن أعضاء جسدهُ لحم من لحمهِ وعظم من عظامهِ" أفسس (٥:٣٠) وطبعاً

حسب الحالة الروحية للمسيحيين البعض يكون أعضاءً حية في جسد المسيح وآخرون أعضاءً ميته . ولكن حتى الأعضاء الميتة يبقون أعضاءً في جسد المسيح الواحد .

مثلاً : أحد المسيحين الذي يكون قد تعمد وأصبح عضواً في جسد المسيح اذا كان لا يعترف ولا يتناول ولا يعيش حياة روحية فهو عضو ميت في جسد المسيح ، ولكن عندما يتوب عندها وفي الحال يأخذ الحياة الإلهية .

وهذه الحياة تشفيه ويصبح عضواً حياً في جسد المسيح ، وهذا لا يكون بحاجة لأن يعتمد مرة أخرى أماَّ عن الشخص غير المعتمد فهو ليس عضواً في جسد المسيح حتى ولو أنه يعيش حياة أخلاقية جيدة إلاَّ أنهُ بحاجة إلى المعمودية حتى يصبح عضواً في جسد المسيح ويتحد بالمسيح ، ولأننا أعضاء في جسد المسيح تُقَدَّمُ لنا حياة المسيح وتصبح حياتنا وهكذا تُبعثُ حياتنا ونخلص ونتأله . ولا يمكن أن نتأله دون

أن يجعلنا المسيح أعضاءً في جسده .

لا يمكن أن نخلص لو لم توجد أسرار الكنيسة المقدسة هذه الأسرار التي تُجِّسدنا في جسد المسيح وبحسب أباء الكنيسة الأسرار تجعلنا متحدين في جسدهِ وفي دمهِ أي تجعلنا جسداً ودماً واحداً مع جسد ودم المسيح ، ما أعظم هذه البركة أن نتناول جسد ودم المسيح . المسيح يصبح لنا وحياته حياتنا ودمه دمنا . لذلك يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : إن اللّه لا يمكن أن يُعطي الإنسان أكثر مما يعطيه في المناولة المقدسة ، ولا يمكن للإنسان أن يطلب ما هو أكثر من اللّه المعطى له في المناولة المقدسة . وهكذا معمَّدين وآخذين الميرون المقدس ومعترفين ومتناولين جسده ودمهُ نصبح آلهةً بالنعمة ونتحد باللّه . وهكذا لا نكون غرباء عنه بل الساكنين معه في الكنيسة التي من خلالها نتحد باللّه نعيش هذه الحقيقة الجديدة التي جلبها لنا السيد المسيح ، أي الخليقة الجديدة .

هذه هي حياة كنيسة المسيح التي تصبح حياتنا كهدية لنا من الروح القدس . كل شيء في الكنيسة يقود إلى التأله : القداس الإلهي ، أسرار الكنيسة ، العبادة الإلهية ، عظات الإنجيل والصوم كلها تقودنا إلى التأله ولذلك تكون الكنيسة هي المكان الوحيد لتأله الإنسان . إن الكنيسة ليست مؤسسة اجتماعية حديثة أو تاريخية ، تشابه أي مؤسسات اجتماعية عالمية أخرى ، وليست هي روابط اجتماعية كالروابط العالمية الأخرى ، إن المؤسسات العالمية قد يكون بينها روابط جميلة أو تنظيمات جميلة أو أشياء أخرى جميله إلاَّ أنَّها لا تستطيع أن تقدم ما تقدمه الكنيسة لنا .

فكنيستنا الأرثوذكسية هي المكان الوحيد الذي لا يوجد لهُ مثيل لعلاقة الشراكة بين اللّه والإنسان أو لتأله الإنسان ، فقط في الكنيسة الإنسان يستطيع أن يصبح ألهاً وليس في أي مكان آخر ، لا في الجامعات ولا في مؤسسات الخدمات الإجتماعية ، ولا في أي مؤسسة أخرى

مهما كانت جميلة أوجيِّدة . لذا حتى لو وصلنا إلى أعلى درجات التقدّم في الروابط الإجتماعية والأساليب الإجتماعية الأخرى لا يمكن أن يحل هذا محل الكنيسة .

من الممكن أننا نحن الضعفاء والخطأة كثيراً ما نمر في أوقات صعبة في الكنيسة أو لمشاكل أخرى . أنه من الممكن أن تمر في الكنيسة بعض العثرات هذا يحدث لأننا نعبر رحلة الجهاد اتجاه التأله ولذلك نمر في بعض الضعفات البشرية ومع أن هذه الأمور تحدث إلاَّ أننا لا يمكن أن نترك الكنيسة لأنهُ وفي الكنيسة فقط الإمكانية الوحيدة التي بها نتحِّد باللّه .

عندما نذهب إلى الكنيسة لنصلي أحياناً نرى بعض الأشخاص لا يعيرون اهتمامهم للصلاة ويتحدثون بين بعضهم البعض فيداهمنا فكر بأننا ماذا نربح عندما نأتي إلى الكنيسة ، لماذا لا نجلس ونصلي في بيتنا حيث نجدُ راحةً أو وقتاً أكثر للصلاة ، عندها علينا أن نجيب هذا الفكر

الشيطاني قائلين : نعم يمكن أن يكون لي انتباه خارجي أكثر في بيتي للصلاة ولكن لن يكون عندي نعمة الرب التي تؤلهني وتقدسني ، لن يكون عندي المسيح الذي هو حاضر في كنيستهُ ، ولن يكون جسدهُ ودمهُ الموجودين في هذه الكنيسة على المائدة المقدسة أمامي وبالتالي لا يمكن لي الاشتراك في العشاء السري للقداس الإلهي. وسأكون مقطوعاً من شركة أخوتي في المسيح الذين معهم نكون جسد المسيح الواحد ، لذا مهما يحدث فإننا لن نترك كنيستنا لأن بها فقط نجد طريق التأله .

التأله يمكن أن يتحقق بواسطة قدرات الله غير المخلوقة

في كنيسة المسيح الأرثوذكسية يستطيع الإنسان أن يحصل على التأله لأن نعمة اللّه بحسب تعاليم الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة هي نعمة غير مخلوقة . إن اللّه ليس هو فقط جوهر كما يعلّم الغربيون ، ولكن عنده أيضاً قدرة ، فلو أن اللّه كان فقط جوهر لما استطعنا أن نتحد به أو أن تكون لنا به علاقة لأن جوهر اللّه مخيف ولا يمكن للإنسان أن يقترب إليه ، بحسب الخروج (٣٣:٢٠) "لا يمكن لأي إنسان أن يرى وجهي ويبقى حياً" .

علينا أن نعطي مثالاً من حياتنا على الأرض ، فمثلاً : لو أننا لمسنا شريط كهربائي معرّى سنموت ولكننا عندما نوصل هذا الشريط في لامبه (مصباح) فإنهُ يُضيئ لنا، هنا نرى قدرة التيار الكهربائي ونفرح بها لأنها تساعدنا ولكن جوهر التيار لا يمكن أن نقترب منه وهكذا نحن

أيضاً يسمح لنا أن نقول ما يحدث لنا بقدرة اللّه غير المخلوقة . لو أننا نتحّد بجوهر اللّه لأصبحنا جميعنا آلهة بالجوهر ، هنا يحدث التباس وتشوش وعندها سوف لن يكون هناك إلهاً وهكذا سنقع فيما تؤمن به الديانات الشرقية مثل الهندوسية . أن اللّه ليس موجوداً كشخص ولكن قوة مندمجة منتشرة في كل العالم في البشر وفي الحيوانات وفي الأشياء . ولو أن اللّه له فقط جوهر لا يمكن الاقتراب منه دون أن يكون له قدرات لبقي اللّه وحده منغلقاً على ذاته وليس له أية علاقة مع خلائقه .

ولكن اللّه بحسب تعاليم اللاهوت الأورثوذكسي هو واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد . كما يقول في هذا الشأن القديس ماكسيموس المعترف والقديس ذيونيسيوس الإريوباغي وجميع الأباء ، أن اللّه من محبتهِ ومن عشقٍ مقدس لمخلوقاتهِ يعمل في قديسيهِ وبسبب هذه المحبة يخرج اللّه من ذاته ويطلب أن يتحد بهم . وهذا يعبر عنه ويتحقق من خلال قدراته أو بقدراته .

بهذه القدرات خلق اللّه العالم وسيستمر في الحفاظ عليه وصيانته . ويعطي جوهر وشخص لعالمنا من خلال قدرات جوهره هو حاضر في طبيعته ويصون العالم بقدراته . ينير الإنسان بقدراته المنيرة ، ويقدسه بقداراته التقديسية ، يؤلهه بقدارته التأليهية ، وهكذا بقدارته غير المخلوقة اللّه القدوس يدخل في الطبيعة في العالم في التاريخ وفي حياة البشر .

إن قدرات اللّه هي قدرات إلهية ، إن هذه القدرات هي اللّه بدون أن تكون جوهره ، إنها اللّه لذلك تؤله الإنسان ، لو أن قدرات اللّه لم تكن إلهية ولم تكن قدرات غير مخلوقة عندها سوف لن تكون اللّه وعندها هذه القدرات سوف لن توحدنا مع اللّه أو سوف لن تؤلهنا . ولكان هناك مسافة شاسعة بين اللّه والبشر، ولكن بسبب أن للّه يوجد قدرات إلهية ومن خلال هذه القدرات هو يتحد بنا عندها نستطيع أن تكون لنا حياة الشركة معه ونتحد بنعمته دون أن نتوحد مع

اللّه أو أن نتحد بجوهره ، نحن نتحد مع اللّه بواسطة قدراته غير المخلوقة وليس في جوهره . هذا هو سر حياة الإيمان الإرثوذكسي ، هذا الإيمان ليس مقبولاً لدى الإيمان الغربي ، لانهم من أتباع **المذهب العقلاني** ، لهذا السبب فهم لا يميزون بين القدرة والجوهر في اللّه بل يقولون أن الله جوهر فقط ، وبالتالي فهم لا يستطيعون أن يتحدَّثوا عن تأله الإنسان لأنه كيف يستطيع الإنسان أن يتَّحد بجوهر اللّه ! كما أنهم يعتبرون أن قدرات اللّه مخلوقة بعكس ايماننا الأرثوذكسي وبالتالي لا يستطيعون أن يبشروا بقدرات اللّه المؤلِّهة للعالم حيث كيف يستطيع المخلوق أن يؤله الإنسان المخلوق بحسب نظريتهم !

وهؤلاء حتى لا يقعون في **مذهب الوجودية** ، فإنهم لا يتكلمون عن تألُه الإنسان ، وكون الإنسان بوجهة نظرهم لا يمكن له أن يتأله بنعمة الرب أو بقدرات اللّه فما هو هدف هذا الإنسان ؟

وماذا بقي لهم أن يتكلموا حول موضوع هدف وجود الإنسان ؟ هل كما قلنا أن يصل إلى الأخلاق ؟ إن الوصول إلى الأخلاق النبيلة هي أسهل مأرب للإنسان ، لا يكفي أن نصبح أخلاقياً أفضل مما كنا أو أن نتصرف بشكل أخلاقي أفضل ، إن هدفنا الأسمى هو أن نتحد باللّه وهذا هو هدف الخلق ، هذا هو هدفنا الذي نريده ، هذه هي إرادتنا وفرحنا وسعادتنا وكمالنا .

إن نفس الإنسان المخلوقة على صورة اللّه ومثاله تتشَّوق للاتحاد باللّه . ومهما كنّا أخلاقيين ومهما كانت أخلاقنا حسنة الا أننا إذا لم نتحد باللّه لن نرتاح ، لأن اللّه نفسه وضع في نفس الإنسان العطش تجاه اللّه وضع به العشق والرغبة الأكيدة للاتحاد به والتأله ، إن بالإنسان قوة العشق التي تشده نحو اللّه وهذه تجعله يحب بحق وبقوة وبدون نهاية كما هو الحال مع خالقه فإنه يحب عالمهُ وخليقته . وهكذا جعل الإنسان يحب اللّه بعشق وقوة . لو أن نعمة

"الخلق على صورة اللّه" ليست موجودة في الإنسان لما استطاع الإنسان أن يبحث إلى أصل الصورة . جميعنا خلقنا على صورة اللّه واللّه هو الأصل ، والصورة تطلب الأصل وعندما تجده تستريح به .

في القرن الرابع عشر صار هناك حالة عدم إستقرار في الكنيسة والتي سببها هو أحد الرهبان الغربيين يدعى برلعام هذا سمع أن رهبان جبل آثوس يتحدثون عن التأله وسمع أيضاً أنهم يصلون إلى حالة التأله هذه بعد جهاد روحي كبير وتنقية من كل الأهواء وصلاة مستمرة ، وبالتالي يتحدون باللّه ويختبرون اللّه ويروا اللّه . وسمع أنهم يرون نور اللّه غير المخلوق ، هذا النور الذي رآهُ الرسل في حادثة تجلي ربنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل ثابور . وهذا برلعام الذي كان قد تبنى اللاهوت الغربي لم يستطع فهم أو استيعاب الخبرة الإلهية كهؤلاء الرهبان المتواضعين ، وهكذا بدأ بإدانة آباء جبل آثوس وكأنهم مضللين أو هراطقة

أو عبدة أصنام . وقال أنه لا يمكن للانسان أن يرى نعمة اللّه ، طبعاً قال ذلك لأنهُ لا يعرف أن يميز بين جوهر اللّه والقدرة الإلهية غير المخلوقة .

عندها نعمة اللّه انتخبت لنا معلم لكنيستنا مستنير وهو من جبل آثوس القديس غريغوريوس بالاماس رئيس أساقفة سالونيك . هذا بحكمة واستنارة من اللّه وبسبب خبرته الشخصية أيضاً قال وكتب كثيراً وعلم استناداً للكتاب المقدس والتقليد الشريف لكنيستنا أن نور النعمة الإلهية المخلوق هو قدرة إلهية وأن البشر المتألهين عندما يرون هذا النور كونهم قد وصلوا إلى أعلى درجات خبرة التأله يروا في داخلهم هذا النور غير المخلوق هذا هو مجد اللّه ولمعانه هذا هو نور ثابور وهو نور قيامة المسيح والعنصره والسحابة المنيرة للعهد القديم وهو نور اللّه غير المخلوق وليس رمزاً كما آمن برلعام وأتباعه .

وأيضاً الكنيسة جمعاء وعلى مدى ثلاث مجامع في القسطنطينية ناصرت القديس غريغوريوس بالاماس وعلمت أن الحياة بالمسح ليست فقط تهذيب الإنسان أخلاقياً ولكن لها هدف أسمى وهو التأله . الذي يعني الاشتراك في مجد اللّه ورؤية اللّه والاشتراك في نعمتهُ والاشتراك في نوره غير المخلوق .

إننا نحفظ الجميل للقديس غريغوريوس بالاماس لأنه بإستنارتهُ التي أخذها من اللّه وبخبرته ولاهوته سلمنا تعاليم وخبرة الكنيسة الإبدية بالنسبة إلى تأله الإنسان . المسيحي ليس هو مسيحياً لأنه يتكلم عن اللّه وإنما هو مسيحي لأنه يستطيع أن يصل إلى خبرة التأله ، وكما أنك عندما تحب شخصاً وتريد أن تبقى باستمرار تتكلم معه تشعر به وتفرح بوجوده معك هكذا يحدث بعلاقة الإنسان مع اللّه وشركته معه . لا يوجد هناك فقط علاقة خارجية ولكن علاقة سرية بين اللّه والإنسان بالروح القدس . ليومنا الحاضر الغربيون يعتقدون أن

النعمة الإلهية هي نعمة مخلوقة ويعتبرون أيضاً أن القدرة الإلهية هي قدرة مخلوقة وهذه المسألة يجب أن تأخذ حيزاً مهماً وكبيراً في الحوار اللاهوتي مع الكنيسة البابوية . ليس فقط مسألة الفولياكفة (٣) أو عصمة البابا هي الأمور التي تفرقنا فقط ولكن الأهم هو الإيمان بالنعمة الإلهية وقدرة اللّه غير المخلوقة التي سبق وتحدثنا عنها ، اذاً لم تقبل الكنيسة الغربية أن تؤمن بأن نعمة اللّه هي غير مخلوقة لا يمكننا أن نتحد معها . حتى ولو قبلت باقي عقائدنا التي يختلفون بها عنا . لأنه من سيعمل من أجل التأله ومن الذي سيؤلهنا إن كانت النعمة الإلهية التي هي للروح القدس هي مخلوقة .

---

(٣) عقيدة الغربيين حول انبثاق الروح القدس من الآب والإبن ، أما في العقيدة الأرثوذكسية فإن الروح القدس منبثق من الآب فقط .

فرضيات حول التألّه

يقول الآباء القديسون أنه في الكنيسة نستطيع أن نصل إلى التألّه ، ولكن التألّه هدية من اللّه وهو ليس الشيء الذي نأخذه من جراء قوانا الذاتية .

أول شيء ومن الطبيعي وجود الرغبة للوصول إلى التألّه ، علينا أن تكون عندنا الرغبة في الجهاد والرغبة في تهيئة أنفسنا حتى نصبح مستحقين قادرين على تقبل والحفاظ على هذه العطية الكبيرة من اللّه ، لأن اللّه لا يريد أن يفعل أي شيء لنا إلاّ بإرادتنا الحرة ، إلاّ أن التألّه يبقى هدية مجانية من اللّه ، لذلك يقول الآباء القديسون أننا نكابد من أجل الوصول إلى التألّه واللّه يفعل هذا التألّه فينا . لذلك نوضح بعض الفرضيات التي من الواجب إتباعها في جهادنا الروحي وفي سبيلنا إلى التألّه :

١ – التواضع

أول فرضية بحسب الآباء القديسين في مسيرة

الإنسان نحو التأله هو التواضع، بدون التواضع لا يمكن للإنسان أن يسير في مركب التأله. ولا أن يأخذ النعمة الإلهية كي يتحد بالله ، وحتى يشعر الإنسان ويعترف أن هدفه هو التأله عليه أولاً أن يمارس فضيلة التواضع .

لأنه كيف بدون التواضع ستعرف أن هدف حياتك هو خارج نفسك وإنما هو في الله . بقدر ما يعيش الإنسان في محوريته وفي أنانيته الإنسانية وفي استقلاليته ويعتبر نفسه أنها هي محور وهدف حياته ويؤمن أنه يستطيع أن يصل إلى الكمال بقدرته الذاتية وتجديده الذاتي والتأله بقدرته الذاتية يكون قد عاش روح الحضارة الحديثة والفلسفة المعاصر لحياتنا الحاضرة . انظروا إننا صنعنا عالماً افضل واكثر عدالة ولكنه مستقل عن الله . صنعنا عالماً محورهُ الإنسان دون أن نذكر الله دون أن نعترف بأن الله هو ينبوع كل صلاح . هذا الخطأ قد أقترفه آدم لأنه ظن أنه بقدرته الذاتية يستطيع أن يصبح

إلهاً وأن يصل إلى الكمال . إن خطأ آدم يعملهُ جميع المتعولمين في كل العصور لأنهم لا يعتبرون العلاقة مع اللّه مهمة في طريق الكمال .

جميع العقائد الأرثوذكسية محورها هو اللّه الإنسان المسيح ولكن جميع المذاهب الأخرى لها محور وهو الإنسان نفسهُ . لذلك من السهل أن يصبح الإنسان هرطوقياً أو من شهود يهوه أو ماسونياً أو أي دين آخر ولكن صعب عليه أن يصبح مسيحياً أرثوذكسياً . وكي تصبح مسيحياً أرثوذكسياً عليك أن تعترف أن محور العالم هو ليس أنت وإنما الإله الإنسان المسيح . لذلك أساس وبداية الطريق تجاه التأله هو التواضع بالأحرى أن نعترف أن هدف حياتنا هو خارج أنانيتنا إنها في اللّه أبينا وصانعنا وخالقنا . التواضع مهم جداً كي نعرف أننا مرضى وشهوانيين مملؤين ضعفات وأهواء ، لذلك أساس الطريق إلى التأله هو أن يكون

عندنا تواضعاً مستمراً لأنه من يظن أنه بقدرته الذاتية يسير إلى التأله يقع في الكبرياء عندها يخسر ما ربحهُ في جهادهِ عليه أن يبدأ من جديد في التواضع وأن يرى ضعفاتهِ ويرى مرضهِ الروحي الأناني كي لا يعتمد على ذاته . بل عليه أن يعتمد على النعمة الإلهية حتى يوجد باستمرار في مسيرة التأله . لذلك عندما نقرأ حياة قديسينا فإننا ننذهل كثيراً من تواضعهم المستمر مع أنهم دائماً كانوا قرب اللّه وكانوا يلمعون من ضياء اللّه في داخلهم . وكانوا يصنعون العجائب أو تفوح من أجسادهم رائحة الميرون المقدس وبالرغم من ذلك كله كانوا دائماً يعتبرون أنفسهم أقل الناس وأنهم بعيدين جداً عن الله وأنهم أسوأ جميع الناس . تواضعهم هذا هو الذي جعلهم أن يصبحوا آلهه بالنعمة .

٢ - ممارسة النسك

يقول لنا الأباء القديسون أن للتأله مراحل تبدأ هذه المراحل من الأخفض إلى الأعلى ، تبدأ في

التواضع والتوبة ثم الصبر ومن ثم جهادنا المستمر بالمسيح وممارسة النسك المستمر لمحاولة تطبيق وصايا المسيح حتى تتنقى من الأهواء . وأيضاً يقول الأباء القديسون أن اللّه يوجد في الوصايا ، وعندما يحافظ المسيحي على وصايا الرب بمحبة وإيمان في المسيح عندها يتحد معه . هذا بحسب الأباء القديسون أول مرحلة للتأله والتي تسمى هذه المرحلة "بالعمل أو التطبيق" هي الجهاد الروحي العملي وهي بداية الطريق نحو التأله .

طبعاً هذا ليس من الشيء السهل لأن الجهاد الذي يجب أن نقوم به حتى نقتلع الأهواء من جذورها هو جهادٌ كبيرٌ بحاجة إلى تعب كثير ولذلك رويداً رويداً حقلنا الداخلي البور يتنقي من الأشواك وحجارة أهوائنا ويحرث روحياً وهكذا تستطيع البذار الصالحة وهو كلمة اللّه أن تقع في هذا الحقل وتثمر . إذا مطلوب جهاد روحي مستمر كي نصل إلى هذه المرحلة . لذلك

قال الرب "ملكوت لله يغتصب اغتصاباً" متى (١٢:١١) والأباء القديسون يعلموننا : "أعطوا دم وخذوا روح" أي بمعنى أخر لا تستطيع أن تأخذ الروح القدس إن لم تعطي دم قلبك للجهاد الروحي كي تتنقى من أهوائك وتتوب توبة حقيقية وعميقة لكي تقتني الفضائل جميع الفضائل تقع تحت ظل الفضيلة الكبرى وهي فضيلة المحبة .

عندما يكون عند المسيحي محبة تكون عنده جميع الفضائل، إن المحبة هي التي تطرد من نفس الإنسان جميع مسببات الشر والأهواء وحب الذات لأن جميع الشرور التي عندنا منبعها حب الذات التي هي الحب المريض لذواتنا . لذلك في الكنيسة يوجد ممارسة النسك أما بدون ممارسة النسك لا توجد حياة روحية ولا جهاد روحي ولا تقدم في الكمالات ، ولهذا السبب نطيع الأب الروحي نصوم ونسهر للصلاة ، نتعب ونكد بالتوبة والسجدات والوقوف بالصلاة

كي نستطيع أن نتنقى من أهوائنا . إن توقفت الكنيسة الأرثوذكسية عن حياة النسك توقفت من أن تكون أرثوذكسية وعندها ستتوقف عن مساعدة الإنسان من التخلص من أهوائه وبالتالي يتوقف عن الوصول إلى التأله بالنعمة .

إن الآباء القديسون قد أظهروا تعاليم إنسانية عميقة وكبيرة حول النفس وحول أهواء الإنسان بحسب الآباء تتميز النفس بالقسم العقلاني أو الذهني والقسم الأهوائي أو الشهواني يتميز بالقسم الغضبي والقسم الشهواني ، القسم العقلاني يوجد به القدرات الذهنية للنفس أي الأفكار والأهواء الفكرية والقسم الأهوائي يوجد به الأحاسيس الإيجابية والسلبية مثل المحبة والكره ، القسم الشهواني يوجد به الشهوات الإيجابية للفضائل والشهوات السلبية للرغبات الجنسية والملذات ، حب المال ، الشراهة ، عبادة الجسد والشهوات الجنسية . إذا كان الإنسان لا يعمل على تنقية هذه الأقسام الثلاثة في نفسه :

(القسم الذهني والغضبي والشهواني) فإنه لا يتنقى ولا يستطيع أن يتقبل في داخلهُ نعمة اللّه كي يتأله . القسم الذهني للنفس يتنقى بالتعقل الذهني (أي الحفاظ المستمر للذهن من جميع الأفكار الشريرة وطرد الأفكار الشريرة وقبول الأفكار الجيدة) القسم الغضبي يتنقى بالمحبة أما القسم الشهواني الأخير فيتنقى بالتعفف ، وكل هؤلاء الأقسام الثلاثة يتنقون بممارسة الصلاة الدائمة والمستمرة .

٣ - ممارسة الأسرار الكنسية والصلاة

يقيم المسيح في قلب الإنسان بواسطة الأسرار المقدسة بالمعمودية والميرون والأعتراف المقدس وسر الشكر الإلهي. يوجد علاقة بين المسيح والمسيحيون الأرثوذكسيون وهذه العلاقة هي حياة الشركة لأن اللّه ونعمتهُ يوجدون في داخلهم بقلبهم لأنهم معمدون وحاصلون على الميرون المقدس يعترفون ويتناولون جسد ودم الرب . إلا أن الأهواء تغطي النعمة الإلهية كما

يغطي السكن الجمرة ، بممارسة النسك والصلاة يتنقى القلب من أهوائه وتحيا فيهِ جمرة النعمة الإلهية من جديد حينها يشعر المؤمن بالمسيح داخل قلبه الذي هو مركز وجوده .

كل صلاة كنائسية تساعد في تنقية القلب خصوصاً الصلاة القلبية أو الذهنية (صلاة المسبحة : أيها الرب يسوع المسيح أرحمني أنا الخاطئ) هذه الصلاة التي تقام بإستمرار بجبل آثوس وهذه الصلاة لها أهميتها لأنها مكونة من جملة واحدة تساعدنا على التركيز بسهوله في ذهننا ، وكونها مركزة في ذهننا فإنها تدخل إلى قلبنا وعلينا أن ننتبه أن هذا القلب أن لا يكون مهتم بأمور كثيرة ولا بمعاني أخرى جيدة أو سيئة وإنما باللّه وحده . إن حياة الجهاد الروحي من خلال هذه الصلاة الذهنية تصبح مع مرور الزمن وبنعمة اللّه مستمرة ودائمة ، وتصبح علماً بحد ذاته وفن مستقل وهذه الصلاة يكتب عنها آباؤنا القديسون في

كتاباتهم وخصوصاً ما يسمى في كتابات الفيلوكاليا .

إن هذه الصلاة تفرح الإنسان المصلي كثيراً وعندما يتقدم الإنسان المسيحي كثيراً في هذه الصلاة ويعيش حياته بحسب تعاليم الرب يسوع المسيح والكنيسة ، عندها يستحق أن يأخذ خبرة النعمة الإلهية ، ويبدأ يتذوق حياة الشركة الحلوة مع اللّه ، ويعرف عن خبرة معنى "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" مزمور (٣٣:٩) .

بالنسبة لنا نحن الأرثوذكس اللّه ليس هو فكرة أو شيء نفكر به أو شيء نتحاور حوله أو نقرأ عنه ولكن اللّه شخص لنا علاقة شخصية حية معهُ ، وهذا ما نعيشهُ ونختبره . عندها نرى عظمة الفضيلة والسعادة غير الموصوفة في أن نملك المسيح فينا وأن نكون مسيحيين أرثوذكسيين . إن هذه الصلاة تساعد كثيراً الذين يعملون في العالم ويكون عندهم اهتمامات دنيوية كثيرة بأن يجدوا لأنفسهم وقتاً قليلاً

يحصلون به على الهدوء حتى يستطيعون أن يصلّوا هذه الصلاة .

وحقيقة إن كل ما يقومون به من صلوات وأعمال صالحة تقدسهم عندما يقومون بها بتواضع ومحبة ولكن هم بحاجة أيضاً إلى صلاة .

وأن تكون هذه الصلاة في هدوء وفي غرفة هادئة وأن تكون أمام أيقونه وقنديل وبخور . وتكون مكان الصلاة بعيداً عن الضوضاء وأن يبعدوا عنهم كل الأفكار والاهتمامات الدنيوية بقول صلاة المسبحة "أيها الرب يسوع المسيح أرحمني أنا الخاطئ" عندها ستشعر النفس بالسلام والقوة .

عندما نصلي هذه الصلاة بهدوء هذه تجعل نفس الإنسان يعيش باقي يومهِ بهدوء بعيداً عن الغضب (النرفزة) والتشوش ، ولكن على الإنسان أن يجمع قواه كلها بتناغم روحي .

البعض يطلبون بعض الهدوء النفسي بفنون

مختلفة ضمن حقول روحية آخرى مضللين بأرواح شيطانية وخصوصاً ممارسة بعض الشعائر الدينية للديانات الشرقية القديمة (كالبوذية والهندوسية واليوجا) ويحاولون أن يجدوا راحة بتمارين خارجية وفكرية حتى يحصلوا على انسجام نفسي وجسدي .

الخطأ يكمن في أن كل هذه الحركات تجعل الإنسان ينسى بعض أفكاره المختلفة وينسى العالم المادي ولكن لا يستطيع أن يقيم حواراً مع اللّه . ولكن حواراً فردياً مع ذاتهُ وبالتالي يصب في أن الإنسان هو محور الوجود وهكذا يخسر التأله .

خبرات التأله

إن خبرات التـأله تعتمد على حالة تنقية الإنسان وبقدر ما يتنقى الإنسان أكثر من أهوائه بقدر ما يأخذ أكثر من خبرة التأله وخبرة رؤية اللّه . بحسب التطويبة "طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون اللّه" متى (٥:٨) عندما يبدأ الإنسان في مرحلة التوبة ويبدأ بالاعتراف والبكاء على خطاياه يأخذ أول خبرة من نعمة اللّه ، وأول هذه الخبرات هي الدموع التي للتوبة التي تجلب الفرح للنفس وتجلب أيضاً السلام الداخلي بعد ذلك ، لذلك هذا الحزن الذي على الخطايا يسمى الحزن المفرح ، كما يقول الأب في التطويبات :"طوبى للحزانى فإنهم يعزون" متى (٥:٤)

وبعد ذلك يتقدم الإنسان إلى مرحلة أعلى كي يصل إلى الإستناره الإلهية التي بها يصبح الذهن مستنيراً ويستطيع أن يرى بطريقة أخرى العالم والناس والأشياء . عندها يحب المسيحي اللّه بشكل أكبر وعندها ستأتي دموعٌ أخرى

وأعلى والتي هي دموع الحب للّه أو العشق الإلهي ، ليس بعد على خطاياه لأنه يكون قد آمن أن اللّه قد غفر جميع خطاياهُ ، هذه الدموع هي التي تجلب للإنسان فرحاً أكبر وسلاماً أعظم للنفس وهذه المرحلة تكون خبره أعلى للتأله.

عندها يصبح الإنسان في مرحلة اللاهوى ، تكون حياته بدون أي أهواء أو شهوات أو أي شيء يجذب إلى الخطيئة او إلى الضعفات ، وعندما يصبح الإنسان مسالماً وغير متأثر لأي إساءة خارجية يكون قد تحرر من الكبرياء ومن الحقد أو الإدانة أو الشهوات الجسدية ، وهذه هي المرحلة الثانية من التأله التي هي المكاشفة أو الرؤية الإلهية ، التي بها يكون الإنسان متنقياً من أهوائه ومستنيراً من الروح القدس مضيأً ومتألهاً .

المكاشفة تعني الرؤية الإلهية ، وحتى يستطيع الإنسان أن يرى اللّه عليه أن يكون متألهاً وبالتالي الرؤية الإلهية تعني التأله . وعندما

يتنقى الإنسان بالكلية يقدم ذاته كلياً إلى اللّه عندها يحصل على أعلى درجة من الخبرة وهي أختبار النعمة الإلهية والتي بحسب الآباء القديسون هي رؤية النور الإلهي غير المخلوق هذا النور يراه فقط المتقدمون كثيراً في مرحلة التأله وهؤلاء هم أقلاء في كل جيل قديسوا اللّه يرون النور ويظهرون من داخله لذلك فإنهم يُرسمون في الأيقونات بالهالة التي حول رأسهم .

في سيرة حياة القديس باسيليوس الكبير مثلاً تقول إن القديس باسيليوس الكبير كان يصلي في قلايته ، كان يراه الآخرون الذين كانت عندهم القدرة لرؤيتهِ يرونهُ مضاءً بنور إلهي هو وقلايتهُ أيضاً وكانوا يرون النور الإلهي غير المخلوق أي نور النعمة الإلهية . وتقرأ أيضاً في حياة قديسين جدد أو شهداء جدد الذين أستشهدوا من قبل الأتراك حيثُ كانوا يعلقون أجساد الشهداء المسيحين في الساحات حتى يرهبوا

المسيحيين الأخرين . كان يحيط في الليل بأجساد الشهداء نور سماوي عظيم ، عندها كان الأتراك يخجلون من أنفسهم ويحقرون ذواتهم لمعرفة حقيقة إيماننا المسيحي وينزلوا الأجساد حتى يحفظوا ماء الوجة لأنهم كانوا يرون أن اللّه مجّد هؤلاء الشهداء القديسين إن نعمة التأله تحافظ على عدم تحلل أجساد القديسين وتحافظ على هذه الذخائر المقدسة وتعطي رائحة عطرة واللّه كان يعمل من خلالها العجائب ، وكما يقول القديس "غريغوريوس بالاماس" كون نعمة اللّه تتحد مع نفوس القديسين بعد ذلك تستقر في أجسادهم وتجعلها مقدسة وليس فقط أجساد القديسين ولكن صورهم أو أيقوناتهم أو هياكلهم . لذلك نحن نقبل الأيقونات ونقبل الذخائر المقدسة ونقبل أيضاً قبورهم وهياكلهم لأن كل ما سبق يكون عنده شيء من نعمة الرب التي تستقر في القديس بسبب اتحاده باللّه وبسبب تألهه .

لذلك في الكنيسة نحن نأخذ نعمة التأله ليس فقط بالنفس ولكن بالجسد أيضاً لأن الجسد يجاهد أيضاً ويتعب مع النفس وبالتالي فإن الجسد يتمجد مع النفس كونه هو هيكل الروح القدس . إن هذه النعمة تنبع من الرب القدوس الإله الإنسان المسيح هذه النعمة حلت على مريم العذراء والقديسين وأخيراً تأتي علينا نحن الحقيرين .

والجدير بالملاحظة أن ليس جميع خبرات المسيحي هي خبرات تأله وخبرات روحية ، كثير من الناس قد خُدعوا بخبرات نفسية أو شيطانية . وحتى لا يصل الإنسان إلى الخبرة النفسية أو الشيطانية عليه أن يقول كل خبراته أمام الأب الروحي الذي يكون هو بدورهِ مستنيراً من اللّه ، سيميز بين خبرة اللاهوت وبين الخبرات الشيطانية ، وسيقود النفس المعترفة إلى الخبرة الصحيحة لذلك طاعة الابن الروحي للأب الروحي هو أمرٌ مهم جداً في مسيرتنا

الروحية التي من خلالها نحصل على روح التعلم في المسيح وهكذا يصان جهادنا الروحي الذي سيقودنا إلى الاتحاد بالله . إن الرهبنة هي أحدى الطرق المهمة جداً للتأله في الكنيسة ، حيث أن الرهبان يتقدسون ويصلون إلى مرحلة عالية بالاتحاد بالله . لذلك على الرهبان الذين يصلون إلى التأله والتقديس يساعدون الكنيسة جمعاء للوصول إلى هذا الهدف . لذلك وكما نؤمن أن الكنيسة تتبع تعاليم التقليد الشريف الآ أن الجهاد الروحي للرهبان يساعد كثيراً جهاد الذين يعيشون في العالم .

لذلك في كنائسنا الأرثوذكسية تقدم الشعوب المؤمنة كلَّ تقدير وتُقى للرهبان . نحن في كنيستنا نعيش حياة الشركة مع القديسين يوجد عندنا فرح خبرة الاتحاد بالمسيح ولذلك نحن في الكنيسة لا نعيش بشكل أفراد متفرقين ولكن وحدة واحدة وأخوية واحدة وحياة شركة واحدة . وهذه الوحدة لا تكون بيننا فقط وإنما

مع قديسي اللّه الذين يعيشون على الأرض اليوم أو الذين رقدوا ، لأن الموت لا يستطيع أن يفصل المسيحيين عن بعضهم البعض فالجميع متحدون مع جسد المسيح القائم من الموت .

وكذلك كل يوم أحد أو كل يوم يقام فيه القداس الإلهي نكون في حالة حياة الشركة مع القديسين عبر كل العصور ومع أقاربنا الذين رقدوا بالمسيح يسوع . كلنا نكون في القداس الإلهي ويكون لنا اتصال روحي بين بعضنا البعض ، ليس اتصالاً خارجياً وإنما بالمسيح يسوع .

وهذا ما يظهر في الصينية المقدسة التي نضع عليها جسد الرب في الوسط وعلى يمين الحمل نضع جزء والدة الإلهة وعلى اليسار القديسين وأسفل الحمل نضع الأبرار والراقدين بالمسيح يسوع وكل هذه الأجزاء مع الحمل توضع في الكأس المقدس بعد تقديس الجزء ويمتزج الجسد والدم بهذه الأجزاء وهناك تكون الكنيسة مجتمعة .

هذه هي النعمة الكبيرة للكنيسة في أننا نحن أعضاء لهذه الكنيسة ولنا حياة شركة ليس فقط مع اللّه وانما أيضاً مع بعضنا البعض كوننا أعضاء جسد المسيح الواحد . رأس هذا الجسد الواحد هو المسيح والحياة تأتي من الرأس إلى الجسد ، والجسد عنده أعضاء حية بعضها نشيط وبعضها ليس بتلك الحيوية وبعضها مريض وأكثرنا من النوع الأخير . من المسيح ومن اعضائهِ الحيَّة تعبر إلينا الحياة والدم الشافي إلى جميع الأعضاء من الأقل حيوية رويداً رويداً إلى جميع هذه الأعضاء حتى تصبح كُلّها حيوية ، لذلك علينا أن نذهب دائماً إلى الكنيسة كي نأخذ الحياة والشفاء الروحي ، لأنه خارج عن نطاق الكنيسة لا توجد إمكانية الشفاء من الخطايا وانبعاث حياتنا . وكل هذه الأمور طبعاً لا تأتي في الحال ، لذلك فالمسيحي الأرثوذكسي عليه أن يجاهد في كل لحظات حياته حتى يستطيع رويداً رويداً بنعمة اللّه ومن خلال الكنيسة وبالتواضع والتوبة والصلاة

وممارسة الأسرار المقدسة أن يتقدس ويتأله .
هذا هو هدف حياتنا وهمنا الأكبر ، لا يوجد أهمية أين سنصل من هذه المراحل السابقة ولكن الشيء المهم هو جهادنا الروحي الذي يباركه اللّه بسخاء في هذا الدهر والدهر الآخر .

فشل كثير من الناس للوصول إلى التأله

مع أننا قد دُعينا جميعنا للوصول إلى هذا الهدف كي نتحد بالله وأن نصبح آلهة بالنعمة وأن نحصل على هذه النعمة الكبيرة التي خلقنا لأجلها خالقنا ومبدعنا لكن نحن كثيراً من المرات نعيش وكأنه لا وجود لهذا الهدف الكبير في حياتنا ولذلك حياتنا تمتلئُ بالفشل .

إن اللّه قد خلقنا للتأله ، وأن لم نتأله تكون حياتنا كلها فاشلة ، علينا أن نظهر هنا بعض أسباب هذا الفشل :

١ - الانجذاب إلى الاهتمامات الدنيوية

ممكن أن نعمل أعمالاً جميلة دراسات ، مهن ، عائلة ، ممتلكات ، أعمال خيرية ولكن عندما نستخدم كل هذه المذكورة آنفاً كهدية من اللّه إلينا وأن كل ما اقتنيناه مربوط به عندها يصبح كل ما أعطيناه عبارة عن طرق للاتحاد باللّه .
وإن لم نربط هذه باللّه عندها نفشل وكل ما

اقتنيناه يكون بلا فائدة . بشكل عام الناس يفشلون لأنهم ينجذبون من قبل الأهداف الثانوية للحياة . ولا يضعون التأله كأنه الهدف الأسمى للحياة . لذلك فالعالم الجميل يبتلعهم ويخسرون الأبدية . يعطون حياتهم للأهداف الثانوية ويتجاهلون "النصيب الصالح" لوقا (٤٢:١) يوجد اليوم انشغال للناس وأنشطة مستمرة ممكن أن يكون هذا فن من فنون الشيطان حتى يضل ولو أمكن المختارين أيضاً، حتى نهمل خلاصنا ، مثلاً الآن يوجد عندنا تعليم ودراسات وقراءات ، لا يوجد عندنا وقت للصلاة أو الذهاب إلى الكنيسة أو للاعتراف أو المناولة . غداً يكون عندنا مؤتمرات واجتماعات والتزامات اجتماعية وشخصية كيف سنجد وقتاً للّه . بعد غد زواجٌ واهتمامات عائلية فمن المستحيل أن ننشغل أو نهتم باللّه ، عندها نقول كما قال الآخرون للمسيح لا نستطيع أن نأتي . لوقا ١٤ (١٩:٢٠) وهكذا نخسر ونفقد قيمة هذه الأشياء كلها ولكن الأمور التي تحدثنا عنها تكون لها قيمة عندما

ترتبط بنعمة اللّه ، عندما نحاول أن نعمل كل هذه الاهتمامات لمجد اللّه . ولكن عندما نتوقف عن الشوق إلى ما هو أبعد من الدراسة ، والمهنة والعائلة وإن لم نتخطى كل هذه الاهتمامات وإن لم نتشوق إلى التأله عندها فإن هذه الأمور كلها لن يكون لها معنى ولكن مع هذا كله عندما يبقى شوق التأله فينا فإن جميع هذه الاهتمامات يكون لها معنى في مسيرتنا نحو التأله .

قال الرب "أطلبوا أولاً ملكوت اللّه وبرَّهُ وهذه كلها تزاد لكم" متى (٦:٣٣) ملكوت اللّه هو التأله وهو أن نأخذ نعمة الروح القدس ، عندما تأتي النعمة الإلهية وتسكن في الإنسان عندها يُملّك الإنسان من قبل اللّه . ومن خلال المتألهين تحل نعمة الروح القدس إلى الناس الآخرين وإلى المجتمع ، وكما يفسر الأباء القديسون في الصلاة الربانية ، ليأتِ ملكوتك تعني أن تأتي نعمة الروح القدس التي عندما تحل على الإنسان فإنها تؤلههُ .

٢ - الأخلاق

للأسف إن روح الأخلاق التي تحدثنا عنها أنفاً إي أن نحصر الحياة المسيحية في الأخلاق فقط. قد أثرت سلباً على نقائنا وعلى حياتنا الروحية المسيحية وهذا حدث بسبب التأثير الغربي علينا وهذا التأثر جعلنا ننسى التأله .

إن التقدم في التربية الأخلاقية تجعل الإنسان هو محور الوجود ، أي أن الإنسان هو المركز في هذا الاتجاه يكون الاعتماد على المحاولات البشرية وليس على نعمة اللّه وتظهر أن الذي يخلصنا هو أخلاقنا وليس النعمة الإلهية . وفي هذا الاتجاه سوف لن يكون عندنا حياة روحية . والنفس لن ترتاح بالحقيقة ولن تروي ظمأها ، هذه التربية الأخلاقية التي فشلت في امتحان إظهار الشخصية المسيحية الحقيقية هي المسؤلة عن توجّه الإنسان إلى الإلحاد أو إلى عدم الاهتمام بالحياة الروحية عند الكثيرين وخصوصاً عند الشباب .

وبـدل من أن نـتـكـلـم نـحـن الأهل والمـعـلـمـون والأكليروس وكل من يعمل في حقل الكنيسة في تـعـليم مـدارس الأحد وفي الـوعظات عن تـهـذيب عقيم للإنسان علينا أن نهذب المسيحيين بإتجاه التأله هذه هي صلاة الكنيسة وخبرتها الروحية . إن الفضائل وبغض النظر عن عظمتها لا تشكل الـهدف الأساسي للحياة المسيحية . وإنما هي وسـائل تـهيئنـا لنقل التأله ونعمة الـروح القدس كما يعلم القديس سيرافيم ساروف .

٣ - عولمة ومحورية الإنسان

إن الـعولمة المستقلة كأسلوب فلسفي منفصل ومستقل عن اللّه يقود إلى حضارة حب الـذات والمجد الباطل للإنسان المعاصر ، هـذا الأسلوب يـريـد أن يـبـعـدنـا عن إيماننا الأرثوذكسي تحت عنوان تـحرير وتقدم الإنسان وأن هذا التقدم هو أعلى من التأله .

نتائج تربية التأله

إن التربية التي تقدمها الكنيسة الروحية الأرثوذكسية بالقداس الإلهي ومن اللاهوت الآبائي والرهبنة هي تربية التأله ، إن تربية تأله الإنسان بمحورية الإله إنسان المسيح ، هذه التربية تعطي فرحاً كبيراً لحياتنا عندما نعرف ما هو مصيرنا والغبطة التي تنتظرنا . إنها تحلي الألم في كل تجربة وغضب الحياة بالنظرة الشافية للتأله .

عندما نجاهد واضعين نصب أعيننا التأله يتغير موقعنا إلى الأحسن تجاه الإنسان الأخر . وخصوصاً عندما ننظر الواحد للآخر أنه مرشح أن يصبح إلهاً ، عندها كم تكون التربية عميقة وفعالة التي نعطيها لأولادنا ، وهؤلاء الأولاد كم سيحترمون آبائهم وأمهاتهم ، ويشعر الأباء بأنهم رسل اللّه إلى أولادهم كي يساعدونهم للدخول إلى التأله .

هذا هو هدف الآباء لإنجاب الأولاد وإلى العالم أي أن يوصلونهم إلى التأله . وكيف سيساعد الأباء الأبناء للوصول إلى التأله أن كان الأباء لا يجاهدون للوصول إلى هذا الهدف الذي وهو التأله ؟ وكم سنحترم أنفسنا اكثر ونبتعد عن الأنانية والكبرياء عندما نعرف أننا خلقنا لهذا الهدف .

يقول أيضاً الآباء القديسيون ولاهوتيو الكنيسة ، عندما نتخطى محورية ذواتنا وأنانيتنا وحبنا لذواتنا نصبح أشخاصاً وأناساً حقيقيين نقابل اللّه بمحبة واحترام، ونقابل قريبنا الإنسان باحترام وبتقدير حقيقي عندها ننظر إلى الآخر ليس كأداة لإشباع رغباتنا ولكن كصورة الله محدد مصيره للتأله .

وبقدر ما نكون منغلقين على أنفسنا في ذواتنا نكون أفراداً وليس أشخاصاً ، وعندما نخرج من وجودنا الفردي المغلق ، ونبدأ استناداً إلى تربية التأله بنعمة الله وبتعاوننا الجهادي أن نحب

ونقدم ذواتنا لقريبنا عندها نصبح أشخاصاً حقيقيين . عندما الأنا التي فيّ تقابل الأنتَ التي للّه ، والأنتَ التي للقريب عندها سنبدأ نجد نفسنا المفقودة ، وعندما نصل إلى شركة التأله التي من أجلها خُلقنا عندها نستطيع أن ننفتح على بعضنا البعض ونشترك مع بعضنا البعض وأن نفرح الواحد للآخر بشكل حقيقي وليس بشكل أناني .

هذا هو مفهوم القداس الإلهي الذي بهِ نتعلم أن نتخطى مصلحتنا الذاتية الفردية الضيقة والذي بهِ يؤسَر الشيطان والخطيئة والشهوات وننفتح نحن إلى شركة التضحية والمحبة في المسيح . إن الشعور بدعوة التأله هذه تريح الإنسان راحةً حقيقيةً وكاملةً .

إن الشخص الأرثوذكسي في الكنيسة يسير باتجاه دعوة الإنسان إلى التأله لذلك فهو يقدِّر بشكل كبير ، مَن مِن الاتجاهات الفلسفية الأخرى بغض النظر كم تكرم الإنسان وحرية

الإنسان يستطيع أن يصل الإنسان بها إلى هذا العلوا ؟ !

لذلك اليوم وبشكل خاص كثيرون هم الذين يحاولون أن يخدعوا البشر وخصوصاً فئة الشباب بوضعهم الشعارات الأنانية يقطعون عن الإنسان طريق التأله ولا يكملونه لذلك يأتي دور الكنيسة الهام جداً في إعادة البشر إلى التربية الصحيحة .

نتائج التربية التي لا تقود إلى اللّه

إن الشباب في عصرنا الحاضر يطلبون خيرات جديدة ، لا يكتفون بحياة مادية بسيطة أو وبمجتمع واحد وجودي ، ولا يتقبلون الحياة التي يُعطوها إليهم الأقدمون ، إن أولادنا الذين هم أيقونات اللّه المدعوّون أن يصيروا آلهة ، يطلبون ما هو أكثر في أشكال منطقية لفلسفة وجودية مادية أو تربية إلحادية ، هذه التربية التي تقدّم لهم الآن . أنهم يريدون أن يختبروا حياةً حقيقية ، لا يكفيهم أن يسمعوا فقط عن اللّه بل يرغبون في أختباره وأختبار نوره ونعمته ، وبما أنهم لا يعرفون كثيراً عن هذه الأمور وأن الكنيسة هي الوحيدة التي تستطيع أن تريحهم حيث لديها الخبرة التي يطلبونها وإذا لم تقدم لهم هذه الخبرة فإنهم سوف يتجهون إلى توجهات ضالة فانية ، علّهم يجدون ما هو فوق الطبيعي .

والبعض من الشباب يتجه إلى الديانات الشرقية

القديمة مثل اليوجا أو الاغنوصية أو عبادة الشيطان وحتى هؤلاء لا يجدون أياً من جسور الأخلاق كون هذه الديانات فارغة في جوهرها وليس لها هدف بحد ذاتها أن توحدهم مع اللّه وتصبح هذه الديانات بلا معنى .

وهؤلاء يبدأون حياة سيئة ويتبنون ظواهر خاطئة مثل الأنارخيكي (أناس لا يؤمنون بالقانون) أو الأرهابيون الذي به كثير من الشباب يريدون أن يحركوا القوة التي في داخلهم وهذه القوة كونها لا تتوجه إلى التأله فإنها تصبح موجهة إلى أهوائهم ، ويكونون متطرفين ويسيئون إلى قريبهم الإنسان .

اكثر الشباب اليوم يصرفون أوقاتهم التي أعطاهم الرب أياها من أجل أن يجاهدوا للوصول إلى التأله يصرفونها بإتجاة الشهوة وعبادة الجسد، ويجعلون هذه الشهوة تصبح أصنامهم العصرية التي يعبدونها ويتجهون إلى الفساد في أجسادهم ونفوسهم وأفكارهم .

بعض هؤلاء الشباب يعيشون بلا هدف أو أهواء ويتجهون بحياتهم ويصرفون أوقاتهم في الركض في الشوارع أو يسرعون بالسيارات يُقتلون ويْقتلون والبعض يتجة إلى المخدرات وهو مرض العصر . والبعض من الشباب وبعد أن يجرب أنواع الشرور ويجرب الإهواء والشهوات يصل إلى مرحلة اليأس من الحياة ويتجه نحو الإنتحار .

إن هؤلاء الشباب ليس جميعهم بلا أخلاق أو تربية هؤلاء الذين يتجهون بحياتهم إلى الشر هؤلاء الشباب هم أولاد اللّه وأولادنا ، هم يئسوا من حياة المادة ومن المجتمع المادي لهم لم يجدوا الهدف الذي من أجله خلقوا ، الهدف الحقيقي الأبدي ، هذا الهدف الذي لم نقدمه لهم لذلك يجهلونه ، يجهلون هدف حياة الإنسان الذي هو التأله وكونهم لم يروا هذا الهدف الروحاني فإنهم يذهبون إلى الضلال ومن ثم إلى اليأس أو إلى الأهداف الباطلة التي ذكرناها سابقاً .

ولكن اليوم بدأ كثير من الرعاة لكنائسنا ومن رؤساء الكهنة والكهنة والروحانيون ، وأيضاً العلمانيون أخوة لنا بدأوا يعلمون هؤلاء الناس عن هدف حياتنا وهدف التأله بأسلوب يتميز بالمحبة ، أننا نكون شاكرين لهم ونحفظ لهم الجميل لهذه الأعمال التي يقومون بها من أجل خلاص كثير من النفوس التي مات من اجلها المسيح .

وهنا يقف جبل آثوس وبكل تواضع ولكن بكل دعم وقوة وراء هؤلاء ووراء الألم الذي تعاني منه الكنيسة ، إن بستان العذراء (جبل آثوس) هو مكان عبادة وتقديس وهدوء ، يعيش بشركة مع اللّه ، به تتجلى قمة التأله والأستنارة لذلك كثير من الشباب اليوم يقومون بزيارة لهم في الجبل المقدس يستنيرون روحياً ويولدون من جديد في المسيح ويتنقوّون بنعمة اللّه بالإيمان عندما يصلّون لهم .

وهكذا يفرحون الرب بحياتهم ويبدأون

بالتعرف على الأرثوذكسية والحياة المسيحية والجهاد الروحي وكل هذه المعاني تعطي معنى لوجودهم. يتذوقون شيء بسيط من عطية اللّه إلى الإنسان وهو التأله .

وعلينا أن لا ننسى نحن رعاة الكنيسة أو اللاهوتيون ومعلموا مدارس الأحد تربية التأله التي بها نحن الحقيرون بنعمة اللّه وبواسطة جهادنا الروحي اليومي ، جهاد التوبة وبمحافظتنا على وصايا الرب نحصل على أمكانية تذوّق هذه البركة الإلهية (الإتحاد به) أن نفرح كثيراً في هذه الحياة وأن نربح الحياة الأخرى الأبدية المغبوطة .

علينا أن نشكر اللّه العلي دائماً على عطية التأله هذه التي أعطانا أياها هدية محبتهُ لنا وعلينا أن نقابل محبتهُ بمحبتنا له .

اللّه يريد ويرغب أن نتأله ولهذا السبب أصبح إنساناً ومات على الصليب حتى يشع

كشمس بين الشموس وكإله بين الآلهة .

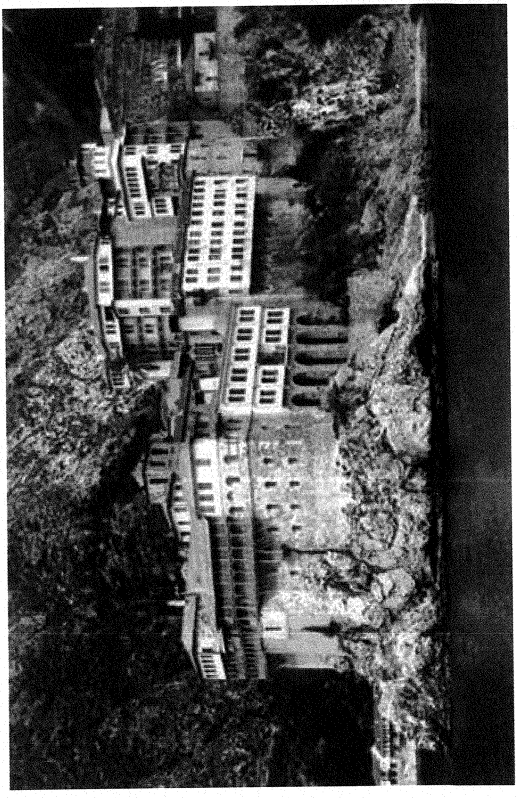
تمت الترجمة يوم

الأربعاء ٢٠٠٧/٣/٢١ غربي

ثاوفيلكتوس أسقف نيقوميذية

ترجمة الأب الدكتور / إبراهيم خليل دبور

بشفاعات الأب جيورجيوس الآثوسي يا رب أرحمنا وخلصنا أنا وزوجتي وأولادي بالجسد والروح . آمين



صورة دير القديس غريغوريوس / جبل آثوس